Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 19:1 (1984

# الدولـة والسياسـة فى فكر حـسن البنـا

## ( ١ )

جابر رزق جابر

لايستطيع باحث او دارس منصف لقضية الدولة والسياسة فى الاسـلام أن ينسى او يتناسى جهود و جهاد الامام الشهيد حسن البنا فى سبيل احقاق الحق فى هذه القضية ، فقد كان ـ رحمه الله ـ الداعية الأول الذى صدع بالحق وتصدى للهجمة الصليبية الشرسة التى ارادت ان تفرغ « الاسـلام » من جوهره ومن عوامل قوته وتجعله محصورا فى هذا المفهـوم الـلا هوتى الضيق « للدين » بمعناه الغربى خاصة بعد أن نجحت مؤامرة اسقاط دولة الخلافة وفصل الدين عن الدولة فصلا عمليا على يد حفيد يهود الدونمة مصطفى كمال اتاتـورک ثم مطاردته كل مايتصل بالاسلام « لتصبح تركيا دولة لادينية فيما بعد .. وكانت مصر هى ـ ولاتزال ـ هى المستهدفة من قبل الصليبيين واليهود بعد تركيا .. فأراد الصليبيـون الانجليز الذيـن كانـوا يحتلـون مصـر عسكريا ( ١٨٨٢ ـ١٩٥٤ ) ان يؤصلوا فكرة ( فصل الدين عن الدولة ) فأوحوا الى بعض الذين تربوا فى احضان الفكر الغربى وعلى موائده أمثال « على عبد عبدالرزاق » و «طه حسين » و « محمود عزمى » وغيره فافتروا الكذب على « الاسـلام » ورددوا ما قاله المستشرقون الصليبيون واليهود حول هذه القضية هادفين من ذلک تجريد الاسـلام

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

من مفاهيمه الأصلية التى تجعل „ الدولة والسياسة „ „ من العقائد والأصول وليست من الفقهيات والفروع „ فالاسلام اذا حكم وتنفيذ كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء لاينفك واحد عن الآخر ، وأن المسلم سياسى بطبيعة دينه ولايتم اسلامه الا اذا كان سياسيا بعيد النظر فى شئون امته مهتما غيورا عليها وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ينطق بهذا „ من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم „ والامام حسن البنا لم يقف فى تصدية لمؤامرة فصل الدين عن الدولة „ عند حد توضيح المفاهيم وتقرير القواعد والأصول ولكنه نهج منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسس دعوة .. وكون حركة .. وأنشا جماعة .. وربى جيلاهز تاريخ مصر الحديث .. وتاريخ العالم العربى بل والاسلام هزا عنيفا ماتزال الاحداث تتأثر بمجراه حتى اليوم .

والامام حسن البنا هو بحق ـ الزعيم الاسلامى الشعبى وهو مجدد القرن الرابع عشر الهجرى بلامنازع الذى قدم المفهوم الأصيل والصحيح للاسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع يستحق التطبيق ويعلو فوق كل ماقدمته البشريه من مناهج ونظم ، كما أن الامام البنا لم يتوقف عند الصيحات العاليات : كتابة وخطابة وانما كسر القيد وحطم الحاجز وتقدم الى ماهو أبعد من ذلك فى مجال البناء والانشاء والتكوين والتربية فوضع أساس البناء فى تكوين الأمة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر فى قلب المجتمع الاسلامى نفسه . لقد كان الامام الشهيد حسن البنا „ من هذه الشخصيات التى هياتها القدرة الالهية وصنعتها التربية الربانية وأبرزتها فى أوانها ومكانها وجعلت منه ومن جماعته القيادة الدينية الاجتماعية التى لم يعرف العالم العربى وماوراءه

قيادة دينية سياسية اقوى وأعمق تاثير وانتاجا منها منذ قرون » .. وكان الزعيم الحق الذى جلس على التراب وخاطب لأول مرة طبقات الشعب فى حياتهم الواقعية وأحس آلامهم ومشاكلهم ، وهز دوائر الأحزاب التى عاصرته وأزعج الزعماء السياسيين وأقض مضاجع كل اعداء الاسلام وأجج حقدهم فدبروا مؤامرة اغتياله وقتلوا وسجنوا واعتقلوا وشردوا الآلاف من ابناء جماعته ظانين انهم بذلك يستطيعون أن يستأصلوا شأفة هذه « الدعوة » وأن يقضوا على جماعته ولكن هيهات ... هيهات » يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

ورغم هذا الأثر الذى كان للامام الشهيد حسن البنا ـ ولايزال ـ ورغم الصفحات المضيئة من جهاد الجيل الذى رباه والأجيال التى تعاقبت وسارت على ذات درب الجهاد الذى دل عليه الا ان الامام حسن البنا لايزال مغموط الحق بين أبناء أمته لم يقدر قدره ولم ينل من الاهتمام والدراسة مايستحقه وماهوله اهل ومعظم ماكتب عنه كان بأقلام أعدائه وشانئيه الذين يدفعهم حقدهم الأسود عليه الى محاولة تشويه صورته وطمس تاريخ جماعته هادفين من هذا قطع الطريق أمام دعوته التجديدية التى هى كما وصفها « روح جديد يسرى فى قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله ، وصوت داو يعلو مرددا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم .. » ، وما أقدمه هنا هو مجرد قراءة فى فكر الامام حسن البنا السياسى منبها النابهين من الدراسين والباحثين فى الفكر السياسى أن يقولوا كلمة حق فى فكر هذا الامام المجدد فيكون لهم أجر الدال على الخير .

## لمحات من حيـــاة الرجل ، وتاريخ الجماعة

فى شهر اكتوبر ١٩٠٦ م ولـــد حسن البنا فى مدينـة المحمودية بمحافظة البحيرة وفى شهر فبراير ١٩٤٩ اغتيل الامام حسن البنـا المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين كـــبرى الحركات الاسلاميـة فى القرن العشرين ، بتدبير مـــن نظام الحكم القائم فى مصر وقتئـــذ : شارك فيه الملك ، ورئيس الوزراء ووزارة الداخلية وبوحى من القوى الاستعمارية الصليبية ( الانجليز ـ الفرنسيين ـ الامريكان ) وبمباركـة الصهيونية العالميـة .

واغتيـــال الامام حسن البنا فى حد ذاته دليل عـــلى المكانة التى تبـــوأها هـــو وجمـــاعته عـــلى مسرح الحياة السياسية فى الفترة من تأسيس الجماعة ( ذو القعدة ١٣٤٧ ، مارس ١٩٢٨ ) وحتـى ليلـة استشهاده فى ١٣ فبراير ١٩٤٩ م . لقد رأى فيه اعداء الاسـلام : صليبيون ويهـــود والملك ، والحكومات التى كانت تمالـئ الاستعمار بين الانجليز وتنفيذ مخططـاتهم ، خطـــرا يهددهـم جميعـا ويقض مضاجعهم ويهز الأرض من تحت أقدامهم خاصة بعد ان أصبح هو وجماعته محط انظار الجماهير وموضع ثقتها ومناط أملها بل وأمـل الأمـة العربية و الاسلاميـة خاصة بعد أن شهدت ساحات فلسطين المغتصبة بطولات شباب الاخوان ضد العصابات الصهيونية مما شهد به الأعداء قبل الاصدقاء .

والحقيقة أن الامام حسن البنـا اســتطـاع خـــلال الســـنـوات العشر السابقـة عـــلـى تنفيـــذ مؤامـرة اغتيـالـــه أن يكون الزعيـم الاسلامى الشعبى الذى يقـــود حركـة اسلاميـة شعبيـة تمثـل بحـق

طليعة الشعب المصرى المسلم المجـــاهد وتقوده ، لقد ظهرت امارات الزعامـة والقيادة لـــدى الامـــام حسن البنا منذ طفـــولته المـــبكرة ففى مدرســـة الرشاد الدينية كان التلميذ حسن البنا متميزا بين أقرانه مرشحا لمناصب القيـــادة والزعامـة بينهم بسبـب ملامـح الـذكـــاء والنجابة الظاهرة لديه والتى جعلته فى مقدمـة لداته ، فعندما تكـــونت فى المـــدرســـة « جمعيـة الأخلاق الأدبية » وقع اختيـــار زملائـه عـــليه ليكون رئيسا لمجلس ادارة هذه الجمعيـة . . وعندما كونت «جمعيـة منع المنكرات » خارج المدرسة اختيـر سكرتيـرا لهـــا . . وعندما التحق بمدرسة المعلمين بمدينـة دمنهور شارك فى انشاء «الجمعية الحصافية الخيرية » واختـــاره اعضاء الجمعية سكرتيرا لها أيضا . . والذى يتأمل هذا يرى وكأن المقادير كانت تعطـــى الفتى حسن البنا فرصـة المران عـــلى القيادة والزعامـة منذ الصغر . . حتى يكون أهلا لهذه الزعامـة الشعبية التى أعده الله لها . .

وكان « التدين » هو الصبغة التى صبغت بـــه شخصيـــة الفتـــى حسن البنـــا مـــنذ نشأته ويرجـــع الفضل لله أولا ولوالده العالم العامل المخلص الشيخ احمد عبدالرحمن البنا المعروف بالساعاتـى الـذى درس الفقه والتوحيد والنحو وحفظ القرآن وجـــوده واتصل بكثير من العلماء وكان يقضى يومه فى تصليح الساعات ومذاكرة العلم والـذى عمل اماما وخطيبا لمسجـد القرية . وكان للوالد الشيخ أحمد مكتبة اسلاميـة ضخمـة تضم امهـــات كتب السنـة والتى باطلاعـه عليها مكنته من تأليف عـــدة كتب فيها منها : بدائع المسند فى جمع وترتيب مسند الشافعى وقد كتب له شرحا ، كما رتب جزءا من مسانيد الأئمة

الاربعة ، ورتب مسند الامام أحمد وسماه : « الفتح الربانى فى ترتيب مسند الامام الشيبانى » ، وشرحه باسم : بلوغ الأمانى من اسرار الفتح الربانى » ،

حفظ الفتى حسن البنا ثلاثة أرباع القرآن خلال فتره دراسته فى مدرسة الرشاد الدينية وأكمل حفظه أثناء دراسته فى مدرسة المعلمين بمدينة دمنهور ، ولم يكن تدين التلميذ حسن البنا فى كل مراحل تعليمة تدينا سلبيا بل كان تدينا ايجابيا لم يجعله ينكفى على نفسه متقوقعا غير مهتم بشئون وطنه بل ملأ نفسه ثورة على «المنكر» فى كل صوره واشكاله سواء على مستوى السلوك الفردى او على مستوى الوطن ككل وقد ظلت الثورة متوقدة فى أعماقه لم تهدأ لحظة من حياته ولم تفتر له عزيمة فى بذل الجهد لتغيير المنكر . لم يكن ايمان الطالب حسن البنا ذلك الايمان الخامل المخدر الذى لايحرك صاحبه ولايدفعه للعمل على ترجمته فى سلوك عملى منسق مع هذا الايمان ولكن ايمانه كان متوهجا فى اعماقه يشحذ همته ، ويقوى ارادته ويدفعه دفعا الى مقارعة المنكر . . فرغم نزعته الى التصوف واغراقه فى العبادة خاصة بعد انتقاله الى مدينة دمنهور والتحاقه بمدرسة المعلمين وانضمامه الى الجمعية الحصافية الا انه لم ينعزل عن الاحداث التى كان يمر بها وطنه فى تلك الحقبة ولم تخل حياته من مشاركة فعلية فى الواجبات الوطنية التى كانت تلقى على كواهل الطلاب . . لقد كان العام الذى ولد فيه حسن البنا هو نفس العام الذى وقعت فيه حادثة دنشواء والتى اعدم فيها عدد من المصريين على

اعواد المشانق وأمام ذويهم انتقاما لأحد الجنود الانجليز مات بسبب ضربة شمس . . ولم يبلغ الفتى حسن البنا الثالثة عشرة من عمره حتى انفجرت ثورة ١٩١٩ وبقيت مناظر المظاهرات الجامعة والاضراب الشامل الذى كان ينتظم البلد كله من أوله الى آخره ومنظر اعيان البلد ووجهائه وهم يتقدمون المظاهرات ويحملون الاعلام ويتنافسون فى ذلك تتراءى أمام عينه وبقى يذكر منظر بعض الجنود الانجليز وقد هبطوا قرية المحمودية وعسكروا فى كثير من نواحيها واحتك بعضهم ببعض الأهالى فأخذ يعدو خلفه بحزام من الجلد حتى انفرد الوطنى بالانجليزى فأوسعه ضربا ورده على اعقابه خاسئا . . وبقى كذلك يذكر الحرس الاهلى الذى اقامه اهل القرية من انفسهم و اخذوا يتناوبون الحراسة ليالى متعددة حتى لايقتحم الجنود البريطانيون المنازل ويهتكون حرمات الناس . . وكان حظه كطالب ان يشارك فى الاضراب والمظاهرات وان يصغى الى احاديث الناس حول قضية الوطن وظروفها وتطور اتها . .

وعندما انتقل الى مدرسة المعلمين بدمنهور وكانت حركة الثورة قد هدأت قليلا وبقيت الذكريات تتجدد فتتجدد معها الاضرابات والمظاهرات والاشتباك احيانا مع البوليس وكانت التبعات تقع اول ماتقع على الظاهرين من الطلاب المتقدمين على اقرانهم فى مجال الدراسة وكان الطالب حسن البنا فى مقدمة هؤلاء الطلاب الظاهرين المتفوقين كما انه كان يعتقد ان الخدمة الوطنية جهاد مفروض لامناص منه فكان يحسب هذه العقيدة ويحسب وضعة بين الطلاب المتفوقين ـ ملزما بأن يقوم بدور بارز فى هذه الحركات . .

يقول الامام البنا فى مذكراته :

ولست أنسى يوم أضرب الطلاب فى يوم من الايام الثائرة واجتمعت اللجنة فى سكننا فى منزل الحاجّة خضرة شعيرة بدمنهور وداهم البوليس المجتمعين واقتحم البيت يسأل عنهم فكان جوابها أنهم خرجوا منذ الصباح الباكر ولم يعودوا وانها مشغولة كما رآها بتنقية البقلة ولكن هذا الجواب غير الصادق لم يرقنى فخرجت الى الضابط السائل وصارحته بالأمر وناقشته بحماس وقلت له :

- ان واجبك الوطنى يفرض عليك ان تكون معنا لا ان تعطل عملنا وتقبض علينا . . ولا ادرى كيف كانت النتيجه انه استجاب لهذا القول فعلا فخرج وصرف عساكره وانصرف معهم بعد ان طمأننا . .

ورجعت الى الزملاء المختبئين وانا أقول لهم .

- هذه بركة الصدق . .

ثم ينتقل الطالب حسن البنا الى القاهرة - قلب الحركة الوطنية - ليلحق بمدرسة دار العلوم بعد انتهائه من الدراسة فى مدرسة المعلمين فى دمنهور . . وقد شهد عامه الأول فى مدينة القاهرة وقوع هذا الحادث الجلل الذى هز الضمير الاسلامى فى كل اقطار الأرض الا وهو اسقاط دولة الخلافة فى الثانى من مارس ١٩٢٤ ليصبح المسلمون لأول مرة فى التاريخ بدون خليفة فصاروا كالأيتام على موائد اللئام . . وكان لهذا الحدث ردود فعل عظيمة خاصة فى الاوساط المعنية بهذه الشئون كالازهر وكدار العلوم التى يدرس بها الطالب حسن البنا وبعض الدوائر

الاسلامية الأخرى كان لهذا الحدث فى نفس الطالب حسن البنا رد فعل عنيف جعله يتألم تألما شديدا مما يرى من أوضاع المسلمين ومايحوطهم من مؤامرات .

**يقول الامام البنا فى مذكراته :**

ـ „ فى هذه الفترة التى قضيتها بالقاهرة اشتد تيار موجة التحلل فى النفوس وفى الآراء والأفكار باسم التحرر الفعلى ثم فى المسالك والأخلاق والأعمال باسم التحرر الشخصى فكانت موجة الحاد واباحية قوية جارفة لا يثبت امامها شئ تساعد عليها الحوادث والظروف .

لقد قامت تركيا بانقلابها الكمالى واعلن مصطفى كمال الغاء الخلافة وفصل الدولة عن الدين فى أمة كانت الى بضع سنين فى عرف الدنيا جميعها مقر امير المؤمنين واندفعت الحكومة التركية فى هذا السبيل فى كل مظاهر الحياة . .

ولقد تحولت الجامعة المصرية من معهد أهلى الى جامعة حكومية تديرها الدولة وتضم عددا من الكليات النظامية ، وكانت للبحث والحياة الجامعية حينذاك فى رؤس الكثيرين صورة غريبة مضمونها ان الجامعة لن تكون جامعة علمانية الا اذا ثارت على الدين وحاربت التقاليد الاجتماعية المستمدة منه واندفعت وراء التفكير المادى المنقول عن الغرب بحذافيره وعرف اساتذتها وطلابها بالتحلل والانطلاق من كل القيود . .

ولقد وضعت نواة „ الحزب الديمقراطى „ الذى مات قبل ان يولد ولم يكن له منها الا ان يدعو الى الحرية والديمقراطية بهذا

المعنى المعروف حينذاك : معنى التحـــلل والانطلاق . .

وانشئ فى شارع المناخ مايسمى المجمع الفكرى تشرف عليه هيئة من التيوصـــوفيين وتلقى فيه خطب ومحاضرات تهاجـــم الأديان القديمه وتبشر بوحـى جديـد وكان خطبـــاؤه خليطامـن المسلميـن واليهود والمسيحين وكلهم يتناولون هذه الفكرة الجديدة من وجهـــات النظر المختلفة

وظهـرت كتب وجرائد ومجلات كل مافيها ينضح بهذا التفكيـر الذى لاهدف لـــه الا اضعـــاف أثر اى دين او القضاء عـــليه فى نفـــوس الشعب لينعـــم بالحرية الحقيقة فكريا وعلميا فى زعـــم هؤلاء الكتاب والمؤلفين وجهزت صالونـات فى كثيـر من الـدور الكبيـرة الخاصة فى القاهرة يتطارح فيها زوارها مـــثل هـــذه الافكار ويعملون بعد ذلک عـــلى نشرها فى الشباب وفى مختلف الاوساط „ .

فى هذا المناخ الذى وصفه الامام حسن البنا والذى كانت تعيش فيه القاهرة العاصمـة . ظهر كتاب „ الاسلام و أصول الحـكم „ للشيخ عـــلى عبدالرازق الذى أريد به تأصيل فكرة „ فصل الدين عـــن الدولة „ وكتاب „ فى الشعر الجاهلى „ الذى يمثل قمـــة ذلک الاتجاه الداعى لهـــدم الدين والتشكيک فى جدواه والتهـوين مـــن أمـــره . .

وكان رد الفعل الطبيعى لكل هذه الأفكار والدعوات الهدامـة أن يسعى المخلصون مـــن أبناء هذا الدين ويفكروا فى كيفية التصدى لهذا التيار المدمر للاسلام . . وكان الطالب حسن البنـا من أنشط الشباب الذين يستحثون العلماء والمفكرين الاسلاميين للبحث عـــن

الوسائل الايجابية التى تقف امام هذا الغزو الفكرى المخرب . . وكان ممن اتصل بهم المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا صاحب «المنار» ، وتلميذ الشيخ محمد عبده ، والشيخ يوسف الدجوى والشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر والسيد محب الدين الخطيب المفكر الاسلامى المجاهد . . وقد اثمرت هذه الجهود والاتصالات تكوين «جمعية الشبان المسلمين» . . واصدار مجلة « الفتح » الاسلامية التى رأس تحريرها الشيخ عبد الباقى سرور وتولى السيد محب الدين الخطيب ادارة التحرير ثم تولى الاخير رئاسة التحرير وكل شئونها وكانت بحق مشعل الهداية والنور لهذا الجيل من شباب الاسلام المثقف الغيور فى هذا الجو الذى تكتنفه الظلمات . .

★ ★ ★

لم يشف صدور مجلة « الفتح » الاسلامية ، ولاتكوين «جمعية الشبان المسلمين» صدر الشاب حسن البنا ، ولم يجد فيهما الجهد الذى يجب ان يبذل لمواجهة الهجمة الشرسة على الاسلام ، فقد كانت له رؤيته الخاصة للعمل الاسلامى الناجح لمواجهة الظروف التى تعيشها الأمة الاسلامية وكانت الظروف والأحداث التى أحاطت بنشأته وتكوينه قد هيأته وأعدته للقيام بهذا الدور الذى فاق به سابقين من رواد اليقظة الاسلامية «ومن هنا وقف حسن البنا بين المجددين الاسلاميين السابقين عليه موقفا فريدا فى طرائقه وتأثيره . . لقد اقتصر المجددون من قبله على الناحية النظرية فحاولوا ان ينفوا عن الاسلام ما علق به من وضر الخرافات وان يعرضوا المبادئ الاسلامية فى صورة

تتفق ومنطق العصر وتوائم روحه العلمية وهو جهد مشكور ولاشك ولكنه لايكفى لبعث الشعوب الاسلامية وحفزها وشحذهمتها وحشد امكانياتها للعودة الى الحياة الاسلامية من جديد . . لقد عرف الشاب حسن البنا ان الأمر يتطلب عملا من نوع آخر أقوى من الكتابة والخطابة واثارة المشاعر انه لابد من اتباع ذات النهج الذى انتهجه الداعية الأول والمعلم الأول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . انه لابد من تربية „ الأمة" التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتتحمل فى سبيل هذا من التضحيات ماتحملته الأمة الأولى التى حملت أعباء الدعوة الأولى وضحت فى سبيلها بالنفس والمال . . لقد أفاد الاستاذ البنا من تجارب هؤلاء الذين سبقوه على الطريق واخذ خير ماعندهم وأمكنه ان يتفادى ماوقعوا فيه من أخطاء . . ودليل ذلک انه جمع بين وسيلتين كانتا تبدو ان متعارضتين جرى على احدهما جمال الدين الأفغانى وارتضى الأخرى الامام محمد عبده . . كان الافغانى يرى الاصلاح عن طريق الحكم ويراه محمد عبده عن طريق التربية ، وقد استطاع حسن البنا ان يدمج الوسيلتين معا وأن يأخذ بهما جميعا وان يضيف اليهما . .

فكان أن أسس جماعة „ الاخوان المسلمين „ فى ذى القعده ١٣٤٧ الموفق مارس ١٩٢٨ فى مدينة الاسماعيلية التى كانت وقتئذ معقلا من معاقل المحتلين الانجليز . . واستطاع أن يبدأ الاستاذ حسن البنا دعوته فى نفس العام الذى يبدأ فيه حياته العملية بالعمل مدرسا بمدرسة الاسماعلية الابتدائية الأميرية . . .

ومضت عشر سنوات من العمل الصامت الدءوب والسعى المتواصل فى كتمان واسرار وفى غير ضوضاء ولاضجيج ولادعايه ولاتهريج وفى غفلة من كل القوى : قوة المحتلين الانجليز . . وقوة الملك وقوة الأحزاب السياسية . . قضاها الداعية الشاب حسن البنا و اخوانه فى بث الدعوة ، ونشر الفكرة ، وتوضيح المفاهيم وتجنيد الدعاة ، وتجميع الأنصار وربطهم بعضهم ببعض برباط الايمان والعقيدة . . عشر سنوات كاملة بذلت الجهود فيها لازالة البناء الفكرى القديم السائد فى المجتمع المصرى واحلال المفاهيم الاسلامية الصحيحة والسلوك الاسلامى لم يحس خلالها الانجليز بخطر هذه الحركة ولم يشعر بها الملك ولم تر فيها الأحزاب شيئا من خطرالمنافسة على مواقعها الشعبية .

**يقول الامام البنا :**

- „ وكانت مصر يوم ان نبتت هذه الدعوة المجددة لاتملك من أمر نفسها قليلا ولاكثيرا يحكمها الغاصبون ويستبد بأمورها المستعمرون وابناؤها يجاهدون فى سبيل استرداد حريتها والمطالبه باستغلالها ، ولم يخل الجو من منازعات حزبية وحزازات سياسية تذكيها المآرب الشخصية ولم يشأ الاخوان المسلمون ان يزجوا بأنفسهم فى هذا الميدان فيزيدوا خلاف المختلفين ويمكنوا للغاصبين ويلونوا دعوتهم وهى فى مهدها بلون غير لونها ويظهروها للناس فى صورة غير صورتها . فتقلبت الحكومات وتغيرت الدولات وهم يجاهدون مع المجاهدين

ويعملون مع العاملين منصرفين الى ميدان مثمر منتج هو ميدان تربية الأمة وتنبيه الشعب وتغيير العرف العام وتزكية النفوس وتطهير الارواح واذاعة مبادئ الحق والجهاد والعمل والفضيلة بين الناس واعتقد انهم قد نجحوا فى ذلك الى مدى يحمدون الله عليه ويسألون المزيد فقد اصبح للاخوان المسلمين فى كل مكان دار ، ودعوة على كل لسان واكثر من ثلثمائة شعبة تعمل للفكرة وتقود الى الخير وتهدى الى سواء السبيل واصبح فى مصر كذلك شعور اسلامى قوى دفاق يركن القوى اليه ويعتز الضعيف به ويأمل الجميع فى ثمراته ونتائجه والحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . . » وكانت العشر سنوات الأولى هذه تمثل الخطوة الأولى فى طريق الجهاد وهى مرحلة بناء الجماعة وبث الدعوة وجمع الانصار وتربية القاعدة الصلبة التى تحمل عبىء الجهاد .

وعلى رأس تلك الحقبة اى فى عام ١٩٣٨ م ١٣٥٧ هـ عقد الامام البنا المؤتمر الخامس للاخوان تحدث فيه الامام البنا الى اعضاء المؤتمر ووضع النقط على الحروف وحدد غاية الاخوان واهدافهم ووسائلهم ومنهاجهم والخطوات والمراحل التى تمر بها الدعوة لتصل الى غاياتها . . وأعلن فى صراحة ووضوح وشجاعة رأى الجماعة فى كل القضايا المطروحة على ساحة العمل السياسى واذا كانت مجلة ( الاخوان المسلمين ) الأسبوعية التى صدرت عام ١٩٣٣ التى رأس تحريرها الشيخ طنطاو ى جوهرى وتولى ادارة تحريرها

السيـــد محـب الديـن الخطيـب ، تعبر تعبيرا دقيقا عـلى مرحلة البناء وتكوين وبث الدعـوة ونشر المفاهيم وتصحيح الأفكار فـان مجلة النذير التى صدر منها العدد الأول فى مايو ١٩٣٨ الموافق ربيع الأول ١٣٥٧ تمثـل المرحلة الثانية من مراحل الدعـوة خير تمثيل وكانت خـير شاهد عـلى نوعية المرحلة الجديدة كانت مجلة النذير سياسيه اسبوعية وكانت مرآة صادقة لجهاد الاخوان الوطنى . . وفى افتتاحية العدد الأول يحدثنا الامام البنا عن المرحلة الثانية للدعـوة تحت عنوان : خطوتنا الثانية . .

**فيقـول :**

„ منذ عشر سنوات بدأت دعوة الاخوان المسلمين خالصة لوجه الله ، متقفيـة أثر الرسـول الاعظم صلى الله عليه وسلم سيد الزعماء واهدى الأئمـة واكرم خلق الله فتتخذ القران منهاجا تتلوه وتتدبره وتقرأه وتتفحصه وتنادى به وتعمـل له وتنزل عـلى حكمه وتوجه اليه أنظـار الغافلين عـنه من المسلمين وغير المسلمين كذلك كانت وستظل „ دعوة اسلاميـة محمدية قرآنيـة „ لاتعرف لونا غـير الاسلام ولاتصطبغ بصبغة غير صبغـة الله العزيز الحكيم ولاتنتسب الـى قيـادة غيـر قيـادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاتعلم منهاجا غير كتاب الله تعالى الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه .

والاسلام عبادة وقيادة ودين ودولة وروحانيـة وعمل وصلاة وجهاد وطاعـة وحكم ومصحف وسيف ولاينفك واحد من هذين عـن الآخر (ان الله ليزع بالسطان مالايزع بالقرآن ) ويتساءل الناس : ـ

ـ ماخطوتكم الثانيـة ؟

يجيب الامام البنا بقوله :

ـ ،، سننتقل من خير دعـوة العامـة الى خـير دعـوة الخاصة ومـن دعـوة الكلام وحـده الى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال وسنتوجه بدعوتنا الى المسئولين من قادة البلد وزعمائه ووزرائه وحكامه وشيوخه ونوابه واحزابه وسندعوهم الى مناهجنا ونضع بيـن أيـديهم برنامجنا وسنطالبهم بأن يسيروا بهذا البلد المسلم بل زعيم الأقطار الاسلاميـة فى طريق الاسلام فى جـراة لاتـردد معهـا وفى وضوح لا لبس فيه ومن غير مـواربـة أو مـداورة فـان الوقت لايتسع للمـداورات فـان اجابوا الـدعوة وسلكـوا السبيـل الـى الغـاية آزرناهـم وأن لجـأوا الى المواربة والردغان وتستروا بالأعذار الواهية والحجج المردودة فنحـن حـرب عـلى كل زعيم أو رئيس حـزب أو هيئة لا تعمـل عـلى نصرة الاسلام ولاتسير فى الطريق لاستعادة حكـم الاسلام ومجـد الاسلام ، سنعلنها خصـومـة لاسلم فيها ولاهوادة معها حتى يفتح الله بيننا وبين قومنـا بالحـق وهـو خيـر الفاتحين .

وعـن موقف الاخوان من الحكام والزعماء والاحزاب والهيئات

يقول الامام البنا فى نفس المقال مخاطبا الاخوان : ـ

ـفى هذه الخطوة . . . ستخاصمـون هؤلاء جميعـا فى الحـكم وخارجـه خصومـة شديدة لديدة ان لـم يستجيبـوا لكم ويتخـذوا تعـاليم الاسلام منهاجا يسيرون عـليه ويعملون لـه وسيكون هؤلاء جميعـا منضمين لكـم فى وحدة قوية وكتلة مـتراجـة متساندة ان أجـابـوا داعـى الله وعملـوا معـه وحينئـذ يجتمعـون ولايتفرقـون

ويتحدثون ولاينتقدون فهو موقف ايجابى واضح لايعرف التردد ولا يتوسط بين الحب والبغض فاما ولاءدوما واماعداء ولسنا فى ذلک نخالف خطتنا او ننحرف عن طريقنا او نغير مسلكنا بالتدخل فى ( السياسة ) كما يقول الذى لايعملون ولكنا بذلک ننقل خطوة ثانية فى طريقتنا الاسلامية وخطتنا المحمديةومنهاجنا القرآنى ولاذنب لنا ان تكون السياسة جزءا من الدين وأن يشمل الاسلام الحاكمين والمحكومين فليس فى تعاليمه"اعط مالقيصر لقيصر ومالله لله"، ولكن فى تعاليمه" قيصر ومالقيصر لله الواحد القهار ".

- " ايها الاخوان أعلن لكم هذه الخطوة على صفحات جريدتكم هذه لأول عدد منها وادعوكم الى الجهاد العملى بعد الدعوة القولية والجهاد بثمن وفيه تضحيات وسيكون من نتائج جهادكم هذا فى سبيل الله والاسلام ان يتعرض الموظفون منكم للاضطهاد ومافوق الاضطهاد وأن يتعرض الاحرار منكم للمعاكسة واكثر من المعاكسة وان يدعى المترفون منكم الى السجون وماهو أشق من السجون ولتبلون فى أموالكم وانفسكم فمن كان معنا فى هذه الخطوة فليتجهز ويستعد لها ومن قعدت به ظروفه أو صعبت عليه تكاليف الجهاد سواء كان شعبة من شعب الاخوان أو فردا من اعضاء الجماعة فليبتعد عن الصف قليلا وليدع كتبية الله تسير ثم فليلقنا بعد ذلک فى ميدان النصر ان شاء الله " ولينصرن الله من ينصره " ولااقول لكم الا كما قال ابراهيم من قبل " من تبعنى فانه منى ومن عصانى فانک

غفور رحيم » ثم توالت مقـالات الامـام حسن البنا فى افتتاحيات الأعداد التاليـة من « النذير » وجهها الى الملك . ثم الى رئيس الوزراء وقتئذ ثم الى رؤساء الاحزاب ، ورئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الشيوخ والى غيرهم مـن الزعماء يطالبهم جميعا أن يعملوا عـلى ان يكون نظام الاسلام هـو النظام الاصلاحى فى مصر .

وتحققت نبوءات الامام البنا ، ودخلت الجماعة والدعـوة طورا جديدا بدخولها ساحة العمل السياسى ، وحددت مواقفها من جميع القوى السياسية واتسعت ميادين نشاطها وتضاعفت وانضـم اليها كثير مـن الفئات خاصة عنصر الشباب الجامعى ومختلف الطوائف العمالية والمهنيه مـن عمال وصناع وتجار واصحاب اعمال ومهندسين وموظفين واطباء ومدرسين ومحامين واصبح بهـا ممثلون لسائر طوائف المجتمع المصرى ، واصبحوا قوة يحسب لها كل حساب.

وتوالى عـلى حكم مصر فى العشر سنوات الثانية من رؤساء الوزارات المصرية : عـلى مـاهر وحسن صبرى ، وحسين سرى ، ومصطفى النحاس ، واحمد ماهر ، والنقراشى ، واسماعيل صدقى ، والنقراشى ثانية وابراهيم عبد الهادى . وفى وزارة الأولين عـلى ماهر وحسن صبرى رأب الاخوان عـلى الموعظة والنصيحـة فى كتبهم وخطبهم الخاصة والمفتوحـة شأنهم مـع جميـع الحكومات السابقة وفى عهد على ماهر خـاصة اعلنوا تأييدهم لقراره تجنيب مصـر ويلات الحرب فحسب دون ان يقابلوه أو يتقدموا اليه بطلب معين .

**وبدأت المحـن . .**

وكانت محنة الاخوان المسلمين الأولى عـلى يد رئيس الوزراء

حسين سرى بضغط من السفارة البريطانية والقيادة الانجليزية فصادرت حكومته مجلتى « التعارف » و الشعاع » الأسبوعيتين ومجلة « المنار » الشهرية ومنعت طبع اى رسالة من رسائلهم او اعادة طبعها ، وأغلقت مطبعتهم وحرمت على الجرائد ان تذكر شيئا عنهم ، كما منعت اجتماعاتهم ثم عمدت الى تشريد رؤساء الجماعة فنقلت الأستاذ البنا من القاهرة الى قنا ، ونقلت وكيل الجماعة الى دمياط ثم اعادتهما لضغط من الحملة البرلمانية ، ولكنها عادت الى ما هو اعنف من ذلك واشد فاعتقلت الاستاذ البنا ثانية كما اعتقلت السكرتير العام للجماعة ثم افرجت عنهما لاتقاء ما احدثه فى صدور الاخوان .

وقد كانت حكومات تلك الحقبة ادوات طيعة فى يد المستعمرين الانجليز لا يبالون بحريات الشعب وكرامته ما دام فى ذلك ارضاء لسادتهم الانجليز بل لم تكن تبالى هذه الحكومات فى سبيل الوصول الى تلك الغاية وهى ارضاء المستعمرين ان تحارب الجماعات الاصلاحية التى تعمل لصالح الدين والوطن وتشرد العاملين المخلصين وتبطش بهم اذا لزم الأمر وتعتقلهم وتسجنهم وتحرم على الجرائد ذكر اسمهم وان كان هذا الاضطهاد والتشريد قد أدى الى عكس النتيجة المرجوة منه فقد استرعى انظار الجماهير وكسبت الجماعة عددا جديدا من الأنصار .

ثم جاءت وزارة مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد حزب الأغلبية اثر حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ورغب الأستاذ البناء أن يرشح نفسه نائبا فى البرلمان عن دائرة الاسماعيلية مهد الدعوة ليمثل

الاخوان وينطق بلسانهم ولكـن النحاس باشا رجاه أن يعدل عـن الترشيح فعدل وبدأ النحاس بمهادنتهم فسمح لهـم بالاجتماعات وأعاد اليهم المجلة والمطبعة ثم تكـرر ضغط السفارة البريطانية مرة اخـرى فعـادت المحنة فى صورة اشد مـن الأولى اذ اغلق النحاس جميع الشعب مـا عدا المركز العام وضيق عليهم فى اجتماعـاتهم ومطبوعـاتهم وسـائـر نـواحـى الـنـشـاط الاخـرى . وقـابـل الاخـوان شـدة الحكوة بـالأنـأة والصبر فعـدلـت الحـكومـة النحـاسية عـن شدتها واستمرالموقف بينهمـا يتقلب،تارة تدع الحـكومـة لهـم الحـرية فيعملون وطـورا ترهقـهم بالتضييق فيصبرون ، ومع ذلک ظلوا عـلى عادتهم فى تقديم النصح كتـابة ومشافهة الى أن اقيلت وزارة النحاس سنة ١٩٤٤ . .

وجاءت بعد وزارة مصطفى النحاس باشا وزارة أحمـد مـاهـر فاخذت الاخـوان بالشدة وحـالت دون نجاح مـن رشح نفسـه للنيابة منهم بنـاء عـلى قرار مؤتمر الاخوان العام ١٩٤١ بـان يرشح الأكفاء انفسهم عـلـى اسـاس خدمـة المنهج الاسلامـى داخـل البرلمـان . . ورشـح الامـام البنا نفسه للمـرة الثـانية فى دائـرة الاسماعيلية ـ موطن الدعوة الأول ـ ولأول مرة فى تاريـخ الحيـاة النيابية فى مصر يقيم اهالـى دائـرة الاسمـاعيلية عـلـى حسـابهم الخـاص ستين سرادقـا للدعاية الانتخابية فى مختلف انحاء المدينـة خلال مدة الـدعـاية وكان كل مـا فى البلد ينطق بأن الفوز الساحق سيكون مـن نصيب الامام البنا فاعلانات الحوائط ، وهتافات الشعب ، وتلاميذ المدارس كلها تنـادى ب ( الاستـاذ البنـا زعيـم النهضـة

الاسلامية ) ولكن كلا من الحكومة الماهرية والقياة الانجليزية قد عملت بكل ما عندهما من وسائل لاسقاطه . . اما الحكومة الماهرية . . فلارضاء الانجليز اولا ولانجاح مرشح الاحرار الدستوريين شركاؤهم فى الحكم ثانيا ، اما القيادة الانجليزية فبناء على تعليمات السفارة البريطانية التى كانت ترصد نشاط الاخوان وتدرك خطرهم على مطامعها الاستعمارية وكانت عربات الجيش الانجليزى تعمل علنا لحساب المرشح الآخر وتنقل ناخبيه الى اماكن الانتخاب كما نقلت كثيرا من العمل العاملين بالمعسكرات البعيدة عن الدوائر الانتخابية وبالرغم من كل ما حدث من وسائل الضغط والارهاب والاغراء والتهديد والتزوير فقد نجح الامام البنا على منافسه ولكن الانتخابات اعيدت وكان لابد ان يعاد للفروق اليسيرة المفتعلة بين الاصوات . وفى الاعادة طرد حاكم سيناء العسكرى الانجليزى مندوبى الامام البنا من لجان العريش وسيناء وضاعفت عربات الجيش نشاطها فى استجلاب العمال من المعسكرات البعيدة والقريبة فقفز العدد فى بعض اللجان لحساب المرشح الآخر اضعاف ماكان فى الانتخاب الاول لكل من المرشحين معا . وهكذا اسقط الاستاذ البنا فى انتخابات الاعادة وسقط جميع مرشحى الاخوان فى الدوائر الاخرى وان حوربو بصورة اخف .

وحين اعلن احمد ماهر الحرب على المانيا وايطاليا ( الحرب العالمية الثانية ) عارضه الاخوان وكتبوا اليه يطالبونه بالعدول عن ذلك . ثم اغتال العيسوى احمد ماهر لهذا السبب وتولى محمود

فهمى النقراشى(الحزب السعدى )الحكم وبدأ حكمه باعتقال الاستاذ البنا ( المرشد العام للاخـــوان ) والسكرتير العام وبعـــض الاخوان بتهمـــة الاشتراك فى حـــادث الاغتيال . ولعل السبب الرئيسى فى ذلك الاعتقال هـــو ان العيسوى ذكر فى معرض التحقيق معـــه انه يطلب اخـــذ رأى زعمـــاء البلد فى اعلان الحرب وذكر اسم الاستاذ البنا فى معرض اسماء الزعماء الذين يجب اخذ رايهم . ولكن النيابة افرجت عنهم بعد ذلك ، وبادر الاستاذ البنا الى زيارة النقراشى الذى لـــم يستجب لرجاء الاستاذ البنا وفرض عـــلى الاخوان أثقل القيود فى نشاطهم واجتماعـاتهم ومراقبة دورهـــم وكان يسمح لهم بعقد بعض الاجتماعات أو المؤتمرات العامـة تحت ضغط الظروف ولكن سرعان ما يعود الى سياسة العنف والارهاب .

وانتهت الحرب العالمـية الثانية سنـة ١٩٤٥ ودخلت الجماعة بعد ذلك فى دور المحنـة الكبرى لأنها تزعمت قيادة الحركـة الشعبية وألهبت المشاعر الوطنيـة المطالبة بحقوق البلاد التى كان الانجليز قد وعدوا بها اثناء الحرب ، واجتمعت الجمعية العموميـة للاخوان فى ٨ سبتمبر سنـة ١٩٤٥ شوال ١٣٦٤ وادخلت بعض التعديلات عـــلى النظام الاســـاسى حـــتى اضحى شاملا لجميـع غايـاتها ووسـائلها بصورة واضحـة واقاموا عددا مـــن الشركات الاقتصادية المتنـوعـــة درت عليهـــم الأرباح ومكنـت لهم فى اوسـاط العمـال واصـدروا جريدتهم اليوميـة ( الاخـــوان المسلمون ) وصدر العدد الاول منها فى ٥ مايو ســـنة ١٩٤٦ الموافق جمادى الثانى سنـة ١٣٦٥ واضحى بذلك صوتهم مسموعا فى مصر والبلاد العربية وانشاوا الكتائب واقاموا

اماكن التدريب عـلى الأعمال العسكرية ونظموا الشعب تنظيما دقيقا فى مصر والاقطار العربية ، ووزعوا الاعمال على الاعضاء واوثقوا العهود بصورة بيعة لرئيس الشعبة فالمرشد العام شخصيا وقرروا السمع والطاعة فى المنشط والمكره مقرونا بالقسم .

وبلغ عدد اعضاء الجماعة العاملين فى مصر وحدها نصف مليون والاعضاء المنتسبون والمؤازرون بلغوا اضعاف هذا العدد . اما عدد شعبهم فى مصر وحدها فبلغ الفين شعبة وفى السودان خمسين شعبة عدا شعبهم فى البلاد العربية والاسلامية وكان لهم اصدقاء وانصار ومحبين فى اوروبا وامريكا . . ولهذا لقيت الجماعة مقاومة فى غاية العنف من قبل الحكومات التى وليت الحكم بعد الحرب العالمية الثانية . وزار الامام البنا النقراشى رئيس الوزراء ثانية واهاب به ان يسرع بالعمل فى سبيل الحقوق القومية واستكمال استقلال وادى النيل ووحدته والا فليدع الأمة الى الجهاد ويتقدمها فى سبيله

وقدم النقراشى مذكرة الى الحكومة البريطانية وجاءه الرد عليها ولم يرض الاخوان عن هذه المساجلة القلمية وقاموا بمظاهرة مع الطلاب ادت الى معركة مع البوليس فى حادثة كوبر عباسى الشهيرة واستقالت الوزارة ، وانصرف الاخوان الى اثارة الشعب وايقاظ وعيه بالمؤتمرات العامة تارة ، وزيارة القرى والريف تارة اخرى وبالرسائل والاحاديث والنشرات وتولوازمام المعارضة الداعية الى الجهاد وتركزت جهودهم فى هذه الناحية طمعا فى ان تنال البلاد استقلالها التام .

وجاءت حكومة اسماعيل صدقى واشتدت المظاهرات ودعا

الاستاذ البنا جميع الاحزاب والهيئات لتأليف لجنة قومية توحد القوى وتنظم الصفوف ولكنه لم يجد موازرة من الاحزاب وعندئذ رأى ان يجنح الى النصح يقدمه الى صدقى على اساس قطع المفاوضات والالتجاء الى الجهاد السافر ، واستمر نشاطهم السياسى فى هذا النهج واخذوا يحاسبون الحكومة حسابا عسيرا ويتهمونها بممالأة الاجانب على حساب الوطن والتساهل مع الشركات التى كانت تلبس اثوابا مصرية مستغلة وبعجزها عن علاج مشكلة العمل و العاطلين وبترددها فى قطع المفاوضات واعلان الجهاد . واشتدت حملة صحافتهم ( الجريدة اليومية والمجلة الاسبوعية ) على المفاوضات ، وعلى حكومة اسماعيل صدقى وعلى الانجليز بوجه خاص ، وشن عليهم اسماعيل صدقى حملة واعتقل عددا منهم وصادر جريدتهم ثم قبض على وكيل الجماعة . وقابله الاخوان بحملة مثلها ووقعت انفجارات فى القاهرة والاسكندرية اتهمهم الحكومة بها فحوصرت دورهم وفتشت، وقاد صدقى حملة واسعة النطاق من النقل والتشريد تناولت خلصاء الموظفين من الاخوان فى شتى المصالح والوزارات واستقال صدقى وتالفت وزارة النقراشى الثانية فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٦ وفى يوم تأليفهانشر الاستاذ البنا مقالا دعا فيه الحكومة الجديدة الى اختصار الطريق واحترام ارادة الأمة وانهاء المفاوضات وسلوك سبيل الجهاد ثم تابع نشر مقالاته فى الجريدة مسفها منهاج الحكومة مشيرا الى انها حاربت الاخوان واغلقت مدارسهم وسجنت احرارهم ولاحقتهم بالتضييق والارهاق وكانت هذه بداية حرب

داخليـة بين النقراشي والاخـوان زادتها قضية فلسطين التى ساهم فيهـا الاخـوان مساهمـة فعالـة وسطر فدائيوهم صفحات مشرقة من الجهـاد وكانت محـل قوتهم ونفوذهـم مـن جهة ومصدر عـزة لهم فى مصـر والعالـم العربـى بل والاسـلامـى . وقـد اشتـرك الاخـوان فى المعركـة تحت اشراف الجامـعة العربية واتاح لهم هذا الاشتـراك المسلح المتمـرن عـلـى القتـال كمـا كشف عن قدراتهم القتالية ومدى نفـوذهـم ، وخشيت حـكومـة النقـراشى سلطتهم فاغتنمـت فرصـة وقوع حوادث عنف فى داخـل البـلاد واتهمتهم بأنهم ورائها وانهم ينوون احـداث انقـلاب فـاصـدرت امـرا عسكريا رقـم ٦٣ مورخـا فى ٨ ديسمبر سـنة ١٩٤٨ بحل جماعة الاخوان المسلمين وشعبهم اينمـا وجـدت وبغلـق الامـاكن المخصصة لنشاطهم وبضـبط جميع الاوراق والوثائـق والمجـلات والمطبوعات والمبالغ والاموال وكافة الاشياء المملوكـة للجماعة وتبع هذا الامـر صدور او امـر عسـكـريـة اخـرى بتصـفية شركاتهم والعمـل عـلـى استخـلاص امـوال الجمـاعـة لتخصـيصها فى الـوجـوه العـامـة التى يقررها وزير الشئون الاجتماعية . وحـاول الاستاذ البنا ان يسوى الموقف مـع النقراشى ولكن لـم يجد منـه ولا مـن الحكومـة ادنى استعداد وقضـى اغتيـال النقراشـى فـى ٢٨ ديسمـبر سـنة ١٩٤٨ عـلـى هـذه المحـاولات وقـديـم

حـادث اغتيال النقراشى عـلـى يد مجموعـة مـن شباب الاخوان بدون اذن أو موافقـة الامام البنا فازداد الموقف حرجا بين الاخوان والحـكومـة ودخـلت الجمـاعة واحـدة من محنهـا الكبرى .

وتحققت نبوءة الامام البناء وحدث ما توقعه وصرح به اعضاء الجماعة منذ سنوات حتى يعدهم نفسيا لتحمل تبعات الجهاد فقد سبق ان نبه الاخوان الى هذا فى رسالة بين الامس واليوم التى وضعها فى فجر الفكرة قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية وقد جاء فيها تحت عنوان : العقبات فى طريقنا :

" احب ان اصارحكم ان دعوتكم لازالت مجهولة عن كثير من الناس ويوم يعرفونها ويدركون مراميها واهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية ، وستجدون امامكم كثيرا من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات وفى هذا الوقت وحدة تكونوا قد بدأتم تسلكون سبيل اصحاب الدعوات . اما الآن فلا زلتم مجهولين ولازلتم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبة من كفاح وجهاد . سيقف جهل الشعب بحقيقة الاسلام عقبة فى طريقكم ، وستجدون من اهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للاسلام وينكر عليكم جهادكم فى سبيله ، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذووالجاه والسلطان وستقف فى وجهكم كل الحكومات على السواء وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وان تضع العراقيل فى طريقكم .

وسيتذرع الغاضبون بكل طريق لمناهضتكم واطفاء نور دعوتكم ، وسيستعينون فى ذلك بالحكومات الضعيفة والاخلاق الضعيفة والايدى الممتدة اليهم بالسؤال واليكم بالاساءة والعدوان وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات وسيحاولون ان يلصقوا بها كل نقيصة وان يظهروها للناس فى ابشع

صورة معتمدين على قوتهم وسلطانهم ومعتدين باموالهم ونفوذهم ( يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كوه الكافرون ) وستدخلون بذلك ولاشك فى دور التجربة والامتحان فتسجلون وتعتقلون وتشردون ، وتصادر مصالحكم وتعطل اعمالكم وتفتش بيوتكم وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان ( احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ) ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومثوبة العاملين المحسنين ( يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفرلكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين ، يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين أمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ) .

وتحققت النبوءة كاملة بعد صدور قرار الحل وبعد اغتيال النقراشى وتولى ابراهيم عبد الهادى خليفة النقراشى رئاسة الوزارة فأنزل بالاخوان محنة كبرى لاتزال صفحاتها السبود تمثل وصمة عار فى جبين تاريخ الرجل ( ابراهيم عبد الهادى ) وحزبه ( الحزب السعدى )

لقد عمل ابراهيم عبد الهادى بكل الحقد والكراهية على ان

يثأر لسلفه فى شخص اعضـــاء الجماعة ومرشدها وشد أزره فى ذلك ما اشيع مـــن سوء عـــلاقة الجمـاعة بالملك فـــاروق وان لهـــا اغراضا انقلابية أما ســـنده الأكـــبر فـــكانت القوى الكبرى ( صليبية ويهودية ) فدبر هـــو ورجـــالـــه مؤامـرة اغتيـال الامـام البنـا فى جريمـــة من ابشع الجـــرائـم وأحقـــرهـا وأدناهـا تحقيقـا لرغبـــة اعداء الاسلام فى الداخـل وفـى الخـارج عـــلـى الســـواء وفـــى المـــذكره التـــى كتبها الامـــام البنـــا ردا عـــلى مذكرة عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخليه التى برر فيها قرار حـــل الاخوان يقـــول الامام البنا : ـ

اقر وكيل الداخلية بنفسه للمرشد العام ان مـــذكرة قدمت الـى النقراشى ( باشا ) مـــن ســـفير بريطانيا وسفير فرنسا والقائم باعمال سفـــارة أمريكا بعـــد ان اجتمعوا فى فايد فى ٦ ديسمبر ١٩٤٨ تقريبا يطالبون فيها المبادرة بحل جماعة الاخوان المسلمين وذلك بالطبع طلب طبيعـــى من ممثلى الدول الاستعمارية الذين يرون فى الاخوان المسلمين اكبر عقبة امام امتداد مطامعهم وتشعبها فى وادى النيل وفى بلاد العـــرب واوطان الاسلام وليست هـــذه اول المرات التى طلب فيهـــا مثل هـــذا الطلب بل هـــو طلب تقليدى كان يكرر دائما عـــلى لسان السفير البريطانى فى كل المناسبات لكل الحكومات .

**ثم يمضى الامام البنا فى تفصيل الظروف والأسباب فيقـــول :**

„ ان من هـــذه الاسباب العوامل الحـــزبية التى تصاحب قرب الانتخابات النيابية اذأنه مـــن المعروف ان الحزب السعدى ( الذى كان زعيمه النقـــراشى ثـــم خلفـــه ابراهيم عـــبد الهادى ) يريدان

يظفر بأغلبية برلمانية تمكنه من الاستمرار فى الحكم ومن المعروف ان الاخوان قوة شعبية ينتظر منها الصمود فى هذا الموقف فمن التكتيك الحزبى ان يشوه موقفهم بمثل هذا العمل قبل حلول موعد الانتخابات الذى سيكون فى اكتوبر ١٩٤٩ مالم تطرأ عوامل اخرى على الموقف . ويقال كذلك ان رغبة الحكومات العربية فى انهاء قضية فلسطين ولو على غير ماتريد الشعوب ، وقد اكدت الأيام صدق هذا الظن ففى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ وبعد انتهاء الامام البنا بأيام معدودة اذيع توقيع شروط هدنة رودس وسحب الجيش المصرى من فلسطين .

لقد نجحت المؤامرة التى أوصى بها ممثلو القوى الصليبيه فى مصر فى اجتماع فايد ( السفير البريطانى ـ والسفير الفرنسى ـ والقائم بالاعمال الأمريكى ) وباركها الملك فاروق ونفذتها وزارة ابراهيم عبدالهادى السعدية واستشهد الامام حسن البنا غيلة وقد كان اعداء الاسلام يظنون انهم باغتيالهم مؤسس الجماعة ومرشدها وقائدها وحاديها وهاديها سيدمرون الجماعة ويستأصلون شأفتها ويوقفون مسيرتها ويقضون بهذا على هذه الحركة التجديدية الشمولية التى ايقظت قلوب شعوب الأمة الاسلامية ونبهت الافهام بعد ان صححت المفاهيم ووضحت معالم الطريق وامعانا فى تحقيق هذا الهدف اشتد العسف بالاخوان الذين زج بهم فى المعتقلات قبل اغتيال النقراشى تهيئة لارتكاب جريمة العصر . . وبعد اغتيال النقراشى واستمرت المحنة شهورا سبعة بلغت فيها الذروه حتى ظن بعض المراقبين ان الاخوان لن تقوم

لهم قائمه بعد هذه الضربة القاصمة التى بلغت ذروتها باغتيال المرشد الأول والمؤسس للجماعة .

ولكن الواقع والتاريخ يشهدان ان المحنة كانت كالنار صهرتهم وصفت معدنهم وميزت صفوفهم فخرج من صفوفهم المنافقون والمرجفون وخوار العزائم وبقى ثابتين على الدعوة غالبيتهم العظمى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا » .

وبعد استقالة ابراهيم عبدالهادى وسقوط حكمه الأسود جاءت وزارة حسين سرى الائتلافية ثم المحايدة التى اشرفت على الانتخابات ونال حزب الوفد أغلبية ساحقه وكان لتأييد الاخوان نصيب فى هذا الفوز وتولى مصطفى النحاس الحكم فى ١٢ يناير ١٩٥١ وانزح الكابوس من على صدر الجماعة واخذت اقلام الاخوان تتحرك وصحفهم تعود وصوتهم يسمع من جديد واعلنوا انتخاب مرشد جديد لهم خليفة للامام الشهيد حسن البنا هو الامام الممتحن المستشار حسن الهضيبى الذى قاد سفينة الاخوان وسط الخضم المتلاحم من الأحداث الجسام التى أجج نار الفتنه فيها العسكريون الانقلابيون الذين كان أحدأهم اهدافهم تحقيق مافشل فيه المتآمرون فى عهد فاروق الا وهو تصفية جماعة الاخوان المسلمين والقضاء على دعوتهم وازالة «اسلامهم » من المنطقة كما اعلن بذلك جمال عبدالناصر فى احدى خطبه . . ورغم كل صور العصف والعسف وكل وسائل التصفية التى لم تواجه بها أية جماعة من الجماعات على طول

التاريخ الاسلامى ورغم مئات الشهداء الذين علقوا على اعواد المشانق أو ازهقفت ارواحهم فى ساحات التعذيب . . ورغم الألوف الذى غيبوا وراء جدران السجون والمعتقلات قرابة ربع قرن . . ورغم الذين شردوا فى كل الارض . . لايزال الاخوان المسلمون فى مصر وفى العالم العربى بل وفى العالم كله يمثلون أهم قوة سياسية يحسب لها المراقبون الف حساب ولايمكن لواضعى السياسات ان يتجاهلوها ولايغفل اعداء الاسلام عن تدبير المؤمرات والمكائد وانزال المحن بها . . على أمل أن يعوقوا حركتها ويشلوها ان اعجزتهم الحيل فى القضاء عليها . .

ولعل هذا الاضطهاد والمطاردة والمواجهة الضارية ومحاولة قطع الطريق على هذه الحركة الاسلامية التجديدية الشاملة التى اسسها الامام حسن البنا هو الذى ساعد فى بقاء الامام البنا'ولكنه حتى الأن لم يقدر قدره كزعيم اسلامى شعبى ولم ينل فكره من الاهتمام ما يستحقه من البحث والدراسة والتحليل . .

( للبحث صلة )